

أضواء البيان

@ 424 تراهم ، وأنها تكاد تنقطع من شدة الغيط عليهم . كقوله تعالى : { لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ طُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدًّا هَا وَلَا هُمْ يَنْظُرُونَ } ، وقوله : { وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنْ نَّهْمُ مَّوْوَاقِعُهُمْ وَلَمْ يَجِدُوا عَنْدهَا مَصْرَفًا } ، وقوله : { إِذَا رَأَتْهُمْ مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّطًا وَزَفِيرًا } ، وقوله : { إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهَيَّ تَفُورُ تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْطِ } ، وقوله : { وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرْوُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوسَ لِلَّهِ جَمِيعًا } إلى غير ذلك من الآيات . قوله تعالى : { وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ } قَالَُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِن دُونِكَ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ } . ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة : أن المشركين يوم القيامة إذا رأوا معبوداتهم التي كانوا يشركونها بـ في عبادته قالوا لربهم : ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دوننا وأن معبوداتهم تكذبهم في ذلك فيقولون لهم : كذبتما ما كنتم إيانا تعبدونا . وأوضح هذا المعنى في آيات كثيرة . كقوله : { وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَّا يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ } ، وقوله : { وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَاتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا } ، وقوله : { ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ بِيَعُضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ } ، وقوله : { وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمُ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ } ، وقوله : { فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ } وقال شُرَكَائُهُمْ مَّا كُنْتُمْ إِلَّا يَنَانَا تَعْبُدُونَ } ، إلى غير ذلك من الآيات . .

فإن قيل : كيف كذبتهم آلهتهم ونفوا أنهم عبدوهم ، مع أن الواقع خلاف ما قالوا ، وأنهم كانوا يعبدونهم في دار الدنيا من دون الله فالجواب أن تكذيبهم لهم منصب على زعمهم

أنهم آلهة ، وأن عبادتهم حق ، وأنها تقربهم إلى الله زلفى . ولا شك أن كل ذلك من أعظم الكذب وأشنع الافتراء . ولذلك هم صادقون فيما ألقوا إليهم من القول ، ونطقوا فيه بأنهم كاذبون . ومراد الكفار بقولهم لربهم : هؤلاء شركاؤنا ، قيل ليحملوا شركاءهم تبعة ذنبهم . وقيل : ليكونوا